دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | النزعة الشعوبية في الشعر العباسي |
| المصدر: | مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ( جامعة الأزهر ) - مصر |
| المؤلف الرئيسي: | الغندور، عبدالصبور السيد |
| المجلد/العدد: | ع 4 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 1985 |
| الصفحات: | 80 - 99 |
| رقم MD: | 472829 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | ACI, AraBase |
| مواضيع: | محاربة الإسلام، الشعر العربي ، العصر العباسي ، الشعر العرب، أعداء الإسلام ، الشعوبية في الشعر، نقد الشعر |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/472829 |

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# النزعة الشعوبية في الشعر العباسي

للدكتور / عبد الصبور السيد الغندور

الشعوبية فرقة من الأعاجم تنكر تفضيل العرب على غيرهم وتحاول الحط من قدرهم والواحد منهم شعوبى (١) ، وأطلق على الشعوبيين هذه التسمية لانتصارهم لشعوبهم الأعجمية من فرس وروم وتقديمهم إياها على العرب .

ولم تفصح هذه الشعوبية عن وجهها الكئيب وحقدها الدفين على العرب إلا فى عهد الدولة العباسية ، أما قبل ذلك فكانت عداوة أهلها مخبوءة ، تبدو فى صورة نزاع بينهم وبين العرب فى موقف ما ، أو فى علاقات جوار تمنع الحروب وتوحى بقوتهم ، كما فعل الروم مع الغساسنة والفرس مع المناذرة ، وقد تعلن عن نفسها بالحرب كموقعة ذى قار التى هجم فيها كسرى بجيشه على العرب فهزموه شر هزيمة ، وقد كانت دولتا الفرس والروم تجاوران العرب وتحاولان بشتى الوسائل فرض السيطرة عليهم .

---

(١) المعجم الوسيط مادة شعب .

ولما بعث النبى العربى محمد صلى الله عليه وسلم وأشرقت الأرض بنور ربها ، وانتشر الإسلام ارتفع شأن العرب وعزت مكانتهم إذ شرفوا بالرسول العظيم ، وبكتاب الله الكريم الذى أنزل بلغتهم ، وبالبيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، ولم يعودوا مجرد قبائل متفرقة فى نظر الأعاجم ، بل أصبحوا أمة قوية لها هيبتها وعزها ومجدها ، وازداد حقدهم على العرب لانتصار الدولة الإسلامية على دولتى الفرس والروم ، واتساع سلطان المسلمين وبسط نفوذهم على أراضيهم ، وكان ذلك مثيرا للنزعة الشعوبية ضد العرب .

وقد دبر الأعاجم الكثير من المؤامرات لمحاولة القضاء على الدولة الإسلامية ، وقاموا بالدسائس التى ساعدت على انتشار فتنة الردة فى أرجاء الجزيرة العربية (٢) وكان قتل خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد واحد منهم ، ولكن كل مؤامراتهم ودسائسهم وفتنهم لم تؤثر فى الإسلام ، ولم تضعف شوكة المسلمين لقوة دولتهم فى عهود البعثة النبوية والخلفاء الراشدين ولتمسك بنى أمية بعروبتهم وغيرتهم عليها .

أما فى عهد الدولة العباسية فقد أصبح للشعوبية شأن كبير وتأثير خطير ، ذلك لأنهم قاموا بدور فى مساعدة بنى العباس على إسقاط الدولة الأموية ، وشاركوهم فى رفع أعلام الدولة الجديدة ، وقد أكرمهم العباسيون وكافئوهم فجعلوا منهم الوزراء وكبار المسئولين ، ولكن الشعوبيين من الفرس وجدوا الفرصة مهيأة لهم كى يعلنوا عن مكنون حقدهم على العرب وكراهيتهم لهم ، حتى صاروا وبالا على الدولة العباسية وعلى المسلمين .

فبعض الشعوبية توارى وراء شعار المطالبة بتسويتهم بالعرب واحتج بقوله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

---

(٢) عبقرية خالد بن الوليد . للأستاذ عباس العقاد ص ١١٣ طبعة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٧١ م .

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٣)، واستندوا إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى (٤) ثم ما لبث هؤلاء القوم أن أشاعوا أنهم أكرم من العرب أصلا وأعظم نسبا وأقدم حضارة ، ولم يكتفوا بذلك بل اتهموا العرب بكل نقيصة وعيب ، وحولوا مفاخر العرب ومزاياهم المعروفة عنهم كالكرم والشجاعة إلى نقائص يسخرون منها ويتهكمون بها ، مما دفع أدباء العرب للتصدى لهم والرد عليهم وتفنيد أقوالهم والدفاع عن عروبتهم ودينهم كالجاحظ وابن قتيبة والشريف الرضى .

وإذا كان عداء الفرس والروم للعرب فى الجاهلية أشبه بعداء الدول الكبرى لما يجاورها من الدول الصغرى اليوم تحركه المطامع والاستغلال فإن عداء الشعوبية للدولة الإسلامية كان مرجعة إلى أسباب أخطر ، أهمها الجانب الدينى فعقيدة المسلمين تناقض عقيدة الروم وتنسخها ، والفرس كانوا يدينون بديانات شتى تقوم على الثنوية التى تقول بتعدد الإله ، والمانوية والمزدكية والزرادشتية وكلها ديانات تبيح الفساد والفجور ، وقد جاء الإسلام فقضى ببطلان هذه الديانات ، وبسط نفوذه على أرض أصحابها ، كما أبطل فكرة الحلول التى اعتنقوها والتى جعلتهم يقدسون ملوكهم بدعوى أن الله يحل فيهم ، وكانت الوحدانية هى قضية الإسلام الأولى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (٥) ويقول سبحانه : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » (٦) ، كما حرم الإسلام كل ما تبيحه دياناتهم من فسق وفساد ، وكل مادرج عليه المجتمع الرومانى والفارسى وتعوده

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٤) رواه الشيخان فى الحديث عن حجة الوداع .
(٥) سورة الأنبياء الآية ٢٢ .
(٦) سورة المؤمنون الآيتان ٩١ ، ٩٢ .

أهله من انحلال وتهتك وفجور ، ودعا إلى الفضائل والأخلاق الكريمة، ولهذا نشطت الحركة الشعوبية فى حرب الإسلام والمسلمين ، لأن الإسلام يتنافى وعقائدهم ويحارب شهواتهم وانحرافاتهم .

وقد اشتد الصراع بين العرب وبين الشعوبية طوال عهد الدولة العباسية ، وتشعبت مجالات هذا الصراع فى السياسة والإدارة والعلم والأدب والعادات والتقاليد وشتى مظاهر الحياة فى المجتمع، وعرف عدد كبير من الشعوبيين بالزنادقة ، ذلك لأن الزندقة أطلقت على ثنوية الفرس ، من ماذرية ( وهم أتباع ماني ومزدكية وزرادشتية وإن أسرف البعض فى إطلاق الزندقة أحيانا انعت كل من بدت منه شبهة أو تجاوز لحدود الإسلام (٧) ، وكان أكثر البرامكة وبنى سهل من الزنادقة (٨) والبرامكة أصلا من الفرس الذين توثقت صلتهم بالعباسيين ، ومنحهم بنو العباس نفوذا كبيرا استغله البرامكة فى التعصب لبنى جنسهم ، حتى إنهم لما وجدوا أن الخليفة الهادى لا يميل إلى الفرس ويطارد الزنادقة ويقتل المارقين دبروا مؤامرة أدت إلى قتله خنقا (٩) ، ووليه الرشيد فى الخلافة فأفسح مجال السلطة أمام البرامكة ، ويروى أنه قال ليحيى البرمكى : « قد قلدتك أمر الرعية فاحكم فيها بما ترى ، واعزل من شئت واستعمل من رأيت ودفع إليه خاتمه » (١٠) ، وقد عنى البرامكة طيلة أيام نفوذهم بالاحتفال بأعياد الفرس القديمة كالنيروز ، وقربوا الشعراء الشعوبيين لديهم ، وآووا كثيرا ممن اتهم بالزندقة كمحمد بن الليث الخطيب أحد موالى بنى أمية وكان يرمى بالزندقة (١١) ، ومن الشعراء الشعوبيين الذين مدحوا البرامكة الفضل الرقاشى وعلان بن الحسن الوراق المعروف بالشعوبى لشدة عصبيته على العرب وتفضيل قومه

---

(٧) مروج الذهب للمسعودى ٣/٣٣٢ .
(٨) الحيوان للجاحظ ٤/٤٣٢ .
(٩) تاريخ الطبرى ١٠/٤٢ .
(١٠) الكامل لابن الأثير ٦/٤٤ .
(١١) ضحى الإسلام لأحمد أمين ١/٢٠٢ .

الفرس عليهم كما كان زنديقا ثنويا (١٢) ، كما اتصل بهم أبو عبيدة الفارسى الأصل اليهودى الأب المجوسى الجد الذى برع فى اللغة والأدب ووضع كثيرا من روايات التاريخ والأخبار التى تسىء إلى العرب ، ولما انكشف للرشيد عصبية البرامكة الشعوبية وخطورتهم على الخلافة نكل بهم أشد تنكيل .

وكان قتل بعض الأدباء الشعوبيين من أمثال ابن المقنع وصالح ابن عبد القدوس وبشار بن برد بسبب زندقتهم (١٣) .

وقد نشط أولئك الزنادقة فى نشر مبادئهم التى تدعو إلى الإلحاد والاستهزاء بتقاليد الإسلام وآدابه ، وعملوا على إشاعة الفساد والفسق بين الناس ، مما أثار الخليفة المهدى فجعل يتعقبهم ويحاربهم ، وأنشأ ديوانا خاصا بمطاردتهم محاولا القضاء عليهم(١٤) كما وصى ابنه الهادى بقتل كل زنديق ملحد (١٥) ، ومن كان ينجو يهرب إلى بلاد غير التى كان يقيم بها ، كزنادقة الكوفة الذين فروا إلى بغداد وغيرها من المدن ، وحاول بعضهم الاتصال بأقارب الخلفاء أو ببعض القواد والأمراء كى يحموهم ، وقد يتظاهرون بالتنسك والزهد تقية ورياء ونفاقا .

وقد استطاعت الشعوبية بزندقتها وحقدها على العرب أن تسخر أبناءها فى كافة جوانب الحياة لخدمة أغراضها ، وأن تجندهم لإشاعة الشك فى الإسلام وتعاليمه ونشر الزندقة والإلحاد ، والفسق والفساد فى المجتمع الإسلامى ، وقام شعراء الشعوبية بدور خطير فى تحقيق هذه الأهداف الخبيثة أمثال بشار بن برد وإسماعيل بن يسار ومطيع ابن إياس وأبى نواس وأبى دلامة وصالح بن عبد القدوس وعلان

---

(١٢) الصراع بين الموالى والعرب د . بديع شريف ٤٤ .
(١٣) طبقات الشعراء ٩٠ ، ٩١ والبيان والتبيين ٣/١ والأغانى ١٤٥/٣ ط دار الكتب .
(١٤) الحيوان للجاحظ ٤٣٢/٤ .
(١٥) تاريخ الطبرى ٤٢/١٠ .

الشعـــوبى وغيرهم ، واتخذوا الشعر سلاحا خطيرا فى التعبير عن نزعتهم الشعوبية ومخططها فى الإضرار بالإسلام والعروبة وإضعاف مجتمع المسلمين والقضاء على دولتهم .

يروى أنه كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد وحماد الراوية وحمـــاد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب واللهـــو ، وكانوا كنفس واحدة وكلهم يرمون بالزندقة ، وإذا رأى الناس واحدا منهم قالوا : زنديق فاقتلوه وأشهرهم حماد عجرد (١٦) ، وعبد الكريم ابن أبى العوجاء يذكر الرواة أنه كان يخلو بالحدث فيفسده ويدخله دينه ، حتى قتله محمد بن سليمان وصلبه (١٧) .

وهذا بشار بن برد الشعوبى الماجن يفضـــل فى قحة وعصبية إبليس على أبينا آدم ، ويصوب رأى إبليس فيه ، ويعتز بالنار معبودة المجوس فيرفع قدرها عن الطين أصل الإنسان وهذه عقيدة المجوس من الشعوبيين إذ يقول :

الأرض مظلمـــة والنـــار مشرقة ... والنار معبودة مذ كانت النـــار

إبليس أفضـــل من أبيـــكم آدم ... فتنبهوا يـــا معشر الفجـــار

النـــار عنصره وآدم طينـــة ... والطين لا يسمو سمو النار (١٨)

وليس ذلك بعجيب فقد كان بشار زنديقا يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمم ، وكان من غلاة الشعوبية الخطرين على الاسلام ، وقد بلغ إلحاده وكفره واصل بن عطاء شيخ المعتزلة فخطب فى النـــاس ودعا إلى قتل ذلك الأعمى الملحد،وتبلغ به الزندقة مبلغا كبيرا إذ يترك رحلة الحج هو وصاحبه ونديمه سعد بن القعقاع فيعرجان على زرارة يفسقان ويسكران ، ثم ينضمان إلى قافلة الحجيج العائدين متظاهرين

---

(١٦) طبقات الشعراء لابن المعتز ٧١ ، ٧٢ .
(١٧) مهذب الأغانى لابن واصل الحموى ٣٧٥/١ .
(١٨) البيان والتبيين للجاحظ ٣٣/١ والأغانى ١٤٥/٣ ط دار الكتب.

بأداء الفريضة ويقرض صديقه شـــعرا فى هذا العمل الخبيث ، ويتمادى فى إلحاده حين يهجو صديقا له بزازا لأنه لم يبعه الثياب بنسيئة فيقول :

ألا إن أبـــا بـــــدر زنـــى فى ليـــلة القـــــدر
ولم يرع — تعالى الله — حرمة ذلك الشهر (١٩)

وقد حكى داود بن رزين أن بشارا لم يكن يصلى ، وكان فى الزندقة ، مع أنه كان من أفقه الناس وأعلمهم بكتاب الله تعالى ، إذ أضله الله على علم — فخبث وكان يمزح فى حضرة الخليفة المهدى ويقول : أنا على دين كسرى .

ويقول صاحب الأغانى : « كان كل من بشار وحماد عجرد هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، فسقط حماد ، وتهتك بشار فى الزندقة فقتل بها ، وقد قتله الخليفة المهدى لزندقته (٢٠) .

وهذا أبو نواس يدعى أنه عرف مذهب الأبرار بإتيانه اللذائذ وممارسة المنكر بقوله :

وملحـــة باللوم تحسب أننى بالجهـل أوثر صحبة الشـطار
بكرت على تلومنى فأجبتهـــا إنى لأعـــرف مذهب الأبـــرار
خدعى الملام فقد أطعت غوايتى وصرفت معـرفتى إلى الإنكار
ورأيت إتيـــانى اللذاذة والهوى وتعجلا من طيب هذى الدار

وينكر أبو نواس يوم القيامة ويعلن ذلك فى كفر واستهزاء بالدين فى قوله :

تعلـــل بالمنى إذ أنت حـــى وبعـد الموت من لبن وخمـــر
حيـــاة ثـم موت ثـم بعث حديث خرافة يـا أم عمرو (٢١)

---

(١٩) الأغانى ٣/١٥١ .
(٢٠) المرجع السابق وطبقات الشعراء لابن المعتز ٢٢ ، ٢٣ .
(٢١) الشعر والشعراء ٢/٨٠٧ .

ويتمادى فى غية وزندقته حين يقول :

أحرى وأحزم من تنظر آجـل  علمى به رجـم من الأخبـار
مـا جـاءنا أحـد يخبر أنه  فى جنة مذ مات أو فى النـار

ويتباهى بسكره وفساد عقيدته بقوله :

قلت والكأس على كفى تهوى لا لتنامى
أنا لا أعرف ذاك اليوم فى ذاك الزحام

ويمزج إلحاده بالفجور إذ يخاطب غلامه المسمى أحمد قائلا :

يا أحمد المرتجى فى كل نائبة  قم سيدى نعص جبار السموات (٢٢)

وكراهيته للبرامكة معروفة ولهذا يذيع ضعف عقيدتهم فى قوله:

إذا ذكـر الشرك فى مجلس  أضـاءت وجـوه بنى برمك
وإن تليـت عندهـم آيـة  أتوا بالأحـاديث عن مزدك

ويبلغ بشار قمة العبث والاستهتار بالدين وقيمه إذ يؤذن وهو سكران فى وضح النهار يلهو بالأذان فيدعو الخليفة المهدى ابن نهيك ويأمره أن يضرب بشارا بالسوط سبعين سوطا أتلفه فيها ، ولما مات ونعى إلى أهل البصرة تباشر عامتهم وهنأ بعضهم بعضا ، وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا منوا به من لسانه (٢٣) .

وبعض أولئك الشعوبيين حين وجد الخلفاء يطاردون الزنادقة ويعاقبونهم أشد عقاب حماية للإسلام ولعقيدة المسلمين تخفى وراء شعار الزهد وقال فيه الشعر كثيرا كصالح بن عبـد القدوس وأبى العتاهية .

---

(٢٢) ديوان ابى نواس ٢٥٠ والشعر والشعراء ٨٢٢/٢ .
(٢٣) مهذب الأغانى لابن واصل الحموى ٤٠٥/١ .

كما خبت الحركة الشعوبية ووضعت فى الزندقة فانها قامت أيضا بدور خطير فى الحط من شأن العرب والغض من قدرهم ، إذ نجد شعراءها يمجدون الأعاجم من فرس وروم ، ويعتزون بأجدادهم ويجرحون العرب ويذكرون لهم الكثير من المعايب ، بل ويسعون لبث نيران الفرقة بين أبناء الأمة العربية ، وإثارة الأحقاد والعداوات فى صفوفهم .

هذا إبراهيم الموصلى الشعوبى يغنى أمام الفضل بن يحيى البرمكى بشعر لأبى النضير يقول :

ويفرح بالمولود من آل برمك
بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتنبسط الأموال فيه لفضله
ولا سيما إن كان من ولد الفضل (٢٤)

وإسماعيل بن يسار كانت فيه نزعة شعوبية شرسة ، وتعصب شديد للعجم على العرب ، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم كقوله :

رب خال متوج لى وعم ماجد مجتدى كريم النصاب
إنما سمى الفوارس بالفرس مصاهاة رفعة الأنساب
فاتركى الفخر يا أمام علينا واتركى الجور وانطقى بالصواب
واسألى إن جهلت عنا وعنكم كيف كنا فى سالف الأحقاب
إذ نربى بناتنا وتدسون بناتكم فى التراب(٢٥)

ويبالغ فى عصبيته إذ يدخل على هشام بن عبد الملك فيستنشده

---

(٢٤) مهذب الأغانى لابن واصل ٢/٦٤٤ .
(٢٥) المرجع السابق ٢/٥٩٦ .

الخليفة وهو يرى أنه ينشده مديحا له ، وإذ به ينشده قصيدة يفخر بها بالعجم على العرب يقول فيها :

أصـــلى كريم ومجـــدى لا يقـــاس به
إلى لســـان كحـــد الســـيف مســـموم
دن مثـــل كسرى وســـابور الجنود معـــا
والهرمـــزان لفخـــر أو لتعظيـــم
جحـــاجح ســـادة بلـــج مـــرازبة
جـــرد عتـــاق مســـاميح مطـــاعيم
أســـد الكتـــائب يوم الروع إن زحفـــوا
وهـــم أذلوا ملوك الشـــرق والروم (٢٦)

وعلى الرغم من أن خلفاء بنى العباس قربوا أولئك الشعوبيين إليهم وأجزلوا لهم العطاء فإن عصبية شعرائهم لم تمنعهم من إثارة الناس على الخلفاء ، ومن رسم صور ساخرة لهم ، فهذا بشار بن برد يهجو الخليفة المهدى هجاء مقذعـا فيقول بعد أن مدحه نفـاقا ورياء :

خليفـــة يزنـــى بعمـــاته يلعب بالدبوق والصولجـــان
أبدلنـــا الله بـــه غـــيره ودس موسى فى حر الخيزران (٢٧)

ويتمادى بشار فى هجائه الفاحش لخليفة المسلمين حقدا وغيظا لمطاردته الزنادقة فيصيح حين يرى وزيره يعقوب بن داود قائلا :

بنـــى أميـــة هبـــوا طـــال نومـــكم
إن الخليفـــة يعقـــوب بـــن داود

---

(٢٦) الجحاجح : السادة ، المرازبة : رؤساء الفرس واحدة مرزبان مهـذب الأغانى ٢/٥٩٧ .
(٢٧) الدبوق : من لعب الصبيان ، الخيزران : من جوارى المهدى وهى أم ولديه موسى وهارون .

ضـــاعت خلافتكم يا قـــوم فالتمســوا
خليفـــة الله بـــين الزق والعـــود (٢٨)

ويجاهر بعصبيته مفتخرا بفارسيته على العرب فيقول :

ســـأخبر فاخر الأعراب عنى وعنـــه حـــين تأذن بالفخـــار
أنـــا ابن الأكرمين أبـــا وأمـــا تنازعنى المرازب من طخـــار
إذا انقلب الزمان علا لعبـــد وســـفل بالبطـــاريق الكبار
ملكنـــاكم فعطينـــا عليكم ولم ننصبكم غرضـــا لزار (٢٩)

وكتب بشار قبل موته فى هجاء آل سليمان بن على :

دينـــار آل ســـليمان ودرههـــم
كالبـــابليين حفـــا بالعفـــاريت
لا يبصـــران ولا يرجـــى لقاؤهمـــا
كمـــا ســـمعت بهـــاروت وماروت (٣٠)

واذا كان الخليفة المهدى قد ندم على قتل بشار فإن ذلك الندم لا يمحو عن ذلك الشـــاعر تهمة عصبيته للفرس وتجنيه على العرب وخبثه فى هجائهم ، وأنه كان داعية للفساد فى المجتمع وهل أدل على تعصبه للأعاجم وتبرئه من ولائه للعرب من قوله :

أصـــبحت مولى ذا الجـــلال وبعضـــهم
مولى العـــريب فخذ بفضـــلك فافخـــر
مولاك أكـــرم مـــن تمـــيم كلهـــا
أهـــل الفعـــال ومـــن قريش المشـــعر
فارجـــع إلى مولاك غـــير مدافـــع
ســـبحان مولاك الأجـــل الأكـــبر (٣١)

---

(٢٨) المرجـــع السابق ١/٤٠٣ .
(٢٩) الأغانى ٣/٣٣ .
(٣٠) مهـــذب الأغانى ١/٤٠٦ .
(٣١) الأغانى ٣/١٣٩ ط دار الكتب .

وهذا أبو دلامة يسخر من الخليفة المنصور فيقول :

وكنـــا نرجـــى منحـــة مـــن إمامنـــا
فجـــاءت بطـــول زاده فى القـــلانس
نراهـــا على هـــام الرجـــال كأنهـــا
دنـــان يهـــود جلـــت بالبرانس (٣٢)

وأبو العتاهية يترحم على البرامكة لأن هواه كان معهم فيقول :

أين البرامـــكة الذين عهدتهـــم بالأمس أعظم أهلها أخطارا

وأبو نواس يسخر من العرب ويفخر بالأكاسرة فى قوله :

وهذا العيش لا خـيم البوادى وهـذا العيش لا اللبن الحليب
فأين البـدو من إيوان كسـرى وأين مـن الميـادين الدروب

وقد سعت الشعوبية جاهدة لبث الفتنة بين المسلمين ؛ إذ كان يؤذى أهلها أى تقارب بينهم ، فأثاروا الحزازات وأيقظوا العداوات ليمزقوا وحدتهم . دخل الشاعر الفارسى سديف بن ميمون مولى أبى العباس السفاح عليه فوجد عنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه منه وأعطاه يده فقبلها ، فلم يسترح سديف لما رأى ، فالتفت إلى الخليفة وقال محرضا إياه على قتله :

لا يغرنك ما ترى من رجـــال إن تحت الضـلوع داء دويا
فضع السيف وارفع الصوت حتى لا ترى فوق ظهرهـا أمويا (٣٣)

فالتفت إليه سليمان وقال : قتلتنى يا شيخ ، وقد عملت الفتنة عملها ؛ إذ تأثر السفاح بشـعر سديف الشعوبى وقام فدخل ، فإذا المنديل قد ألقى فى عنق سليمان ثم جر فقتل . ودخل شبل بن عبدالله

---

(٣٣) الأغانى ٤/٨٩ .

على الخليفة أبى العبـاس السـفاح فوجد عنده بعض الأمويين وقد أكرمهم وبسط لهم النمارق ووضعت لهم الكراسى فآلم ذلك الشاعر الفارسى ورأى فى ذلك بادرة للتقارب بين بنى العباس وبنى أميـة فقال :

أصـبح الملك ثابت الآسـاس ... بالبهـاليل من بنى العبـاس
طلبـوا وتر هاشـم فشفوها ... بعـد ميـل من الزمان وياس
لا تقيلن عبـد شمس عثـارا ... واقطعـن كل رقـلة وغراس
ذلهـا أظهـر التودد منهـا ... ولهـا منـكم كحـز المواسى
ولقد سـاءنى وسـاء سوائى ... قربهم من نمـارق وكراسى
أنزلوهـا بحيث أنزلهـا الله ... بدار الهـوان والإنعاس (٣٤)

وقد دفعت هـذه العصبية الشعوبية الممقـوتة مفكرى العرب وأدباءهم إلى مقاومتها فنرى الجاحظ والأصمعى وابن دريد وابن قتيبة وبديع الزمان الهمذانى والشريف الرضى وأمثالهم إلى الرد على الشعوبيين ، وتفنيد أكاذيبهم ، وكتابة الجاحظ فى تصوير بخـل الشعوبيين وكشفه ما يخفون من حقد على العرب خـير دليل على يقظة العرب وأن نخوة العروبة وحب الإسلام فيهم ، بل إن بعض الأعاجم المنصفين كرهوا تلك العصبية الشعوبية ، وغضبوا من تلك النزعة الآثمة المعـادية للعرب ، فهذا الصـاحب بن عبـاد يقول « لا أرى أحدا يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية ينزع إليه » (٣٥) .

ومما يؤسف له حقا أن كثيرا مما كتب فى الأدب والشعر ممـا دافع به العرب عن أنفسهم أمام تيار الشعوبية ضاع أكثره ، بسبب عصبية الرواة وأكثرهم من الفرس،وقد تعمدوا إهماله وتركوا تدوينه

---

(٣٥) مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى د . محمد نبيه حجـاب ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
(٣٦) بلوغ الأرب للألوسى ١/١٦٠ .

حتى يمحى مع الأيام ، ومع ذلك فقد بقيت منه ومضات لامعة تشير الى تلك الحرب الضارية التى شنها متعصبو الشعوبية ضد العرب وغيرة العرب واعتزازهم بأنفسهم ودفاعهم عن كرامتهم ، فهذا يزيد المهلبى يدعو خلفاء بنى العباس إلى محاربة أولئك الشعوبيين العبيد محذرا من شرورهم فيقول :

لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم ... ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم ... حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجذم والأنساب تجمعهم ... والمجد والدين والأرحام والبلد
إن العبيد إذا أذللتهم صلحوا ... على الهوان وإن أكرمتهم فسدوا
إذا قريش أرادوا شد ملكهم ... بغير قحطان لم يبرح به أود(٣٧)

وقد كان الشعوبيون معول هدم وعامل تخريب خطير فى دولة المسلمين ، اذ نشروا مجالس الغناء فى المجتمع الإسلامى منذ عهد الأمويين ، وهى أنسب الأماكن لنشر المفاسد والمتع المحرمة ، وقد كان أكثر المغنين من الموالى الفرس والروم وغيرهم ، واشتهر منهم طويس وابن سريج وسائب خاثر ومعبد ومالك وجميلة وسلامة القس وعزة الميلاء وحبابة وبلبلة وسعيدة والزرقاء وغيرهم كثير (٣٨) ، وقد تسلل سم الشعوبية وإفسادهم إلى بلاط الخلفاء وقصور الأمراء ،اذ يروى أن يزيد بن عبد الملك كان يشرب الخمر ويلبس الحلة التى نقوم بألف دينار وحبابة عن يمينه وسلافة عن يساره تغنيانه ، حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قد ثوبه ثم التفت إلى إحداهما فقال : ألا أطير (٣٩) ؟ والخليفة المهدى نفسه كان محبا للقيان وسماع الغناء ومعجبا بالجوارى يقول فيهن الشعر (٤٠)

وهذه من آفات الشعوبية وجنايتها على المجتمع الاسلامى إذ

(٣٧) الكامل للمبرد ٣١٢/٢ .
(٣٨) الأغلانى ٢٠٩/٨ .
(٣٩) البيان والتبيين ١٠٢/٢ .
(٤٠) تاريخ الطبرى ٤٠٤/٦ .

عملت على تسرب العبث والمجون إلى بيوت الكبراء والحكام فأفسد ذلك الكثيرين منهم ، وقد كثر المغنون والمغنيات بصورة تلفت الأنظار فى العصر العباسى ، وكتاب الأغانى يصور مجالس الغناء والطرب والموسيقى فى ذلك العصر ، وفى عهد الرشيد يعلو نجم ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء ويأمرهم الخليفة أن يختاروا له الأصوات المائة التى أدار أبو الفرج الأصفهانى كتابه عليها .

ويروى أحمد بن صدقة أنه دخل على المأمون فى يوم عيد النصارى وبين يديه عشرون وصيفة جلبا رومیات مزنرات قد تزين بالديباج الرومى ، وعلقن فى أعناقهن صلبا الذهب ، وفى أيديهن الخوص والزيتون ، فقال له المأمون : ويلك يا أحمد قد قلت فى هؤلاء أبياتا فغننى بها فغناه ، ولم يزل يشرب وترقص الوصائف بين يديه أنواع الرقص (٤١)

وقد كان الشعراء يجوسون خلال هذه المجالس بشعرهم الذى يصفون فيه الخمر والمرأة وصفا يثير الغرائز والشهوات ، سعيا الى إفساد المجتمع تحقيقا لمأرب الشعوبيين ، وإذا كان العرب قد عرفوا الغزل الصريح قبل ذلك فإنهم لم يتناولوه بهذا المستوى الجديد الذى عرفه العصر العباسى ، فقد امتلأ شعر الغزل العباسى بالفسوق والفخر بالمعاصى ، وعمل على نشر المنكرات المخزية بشكل يندى له الجبين ، إذ كان غزلا فاحشا بعيدا عن القيم العربية والفضائل الإسلامية ، ولا عجب فهو ثمرة التيار الشعوبى الذى هب على الدولة العباسية .. وهذا بشار بن برد يقول :

لا يؤيسنك من مخبأة ... قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة ... والصعب يمكن بعد ماجمحا(٤٢)

---

(٤١) الأغانى ١٣٨/١٩ .
(٤٢) المرجع السابق ٢٠٩/٣ .

وينشد الخليفة المهدى له قصيدة غزلية يقول فيها :

أعشق وحدى ويؤخـذون به ... كالترك تغزو فيقتـل الخزر
حسبى وحسب التى كلفت بها ... منى ، ومنها الحديث والنظر
أو قبلة فى خـلال ذاك وما ... بأس إذا لم تحـل الأزر
أو عضة فى ذراعها ولهـا ... فوق ذراعى من عضهـا أثر
أو لمسة دون مرطها بيـدى ... والباب قد حال دونه الستر(٤٣)

وكان الخليفة المهدى قد نهى بشارا أن يذكر النساء فى شعره ، ولكن الشاعر الشعوبى المـاجن لا يسلو الغزل بل يقوله فى خبث ودهاء ، ويتظاهر بطاعة الخليفة الذى منعه من الغزل ، ويصور الخليفة حارسا له وقد ترك شئون المسلمين ووقف دون باب المرأة يمنع الشاعر عنه : إذ يقول :

يا منظرا حسنـا رأيتـه ... فى وجه جارية فديتـه
بعثت إلى تسـومنى ... برد الشبـاب وقد طويته
والله رب محمـد ... ما إن غـدرت ولا نويته
أمسكت عنـك وربمـا ... عرض البـلاء وما ابتغيته
إن الخليفـة قـد أبى ... وإذا أبى شيئا أبيتـه
ومخضب رخـص البنـان بكى على وما بكيتـه
ويشـوقنى بيت الحبيب إذا ذكـرت وأين بيتـه
حـال الخليفـة دونـه ... فصبرت عنـه وما قليتـه

ونهـانى الملك الهمـام عن النسـاء فمـا عصيتـه(٤٤)

إن المرأة الشريفة لا تبعث إلى الرجل تسومه الشبـاب بل ولا المرأة العابثة اللهم إلا تلك المرأة الساقطة التى يعرفها بشـار الشعوبى الماجن .

---

(٤٣) مهـذب ١/٣٨٧ .
(٤٤) المرجـع السابق ١/٤٠١ ، ٤٠٢ .

ويروى أن مطيع بن إياس مر ببحيى وحماد بن إسحاق وهما يتحادثان ، فقال لهما : فيم أنتما ؟ قالا : فى قذف المحصنات ، فقال مطيع : أفى الأرض محصنة نقذفها ؟ (٤٥) .

ولا عجب إذا بلغ المجون والعبث بسمعة المحصنات إلى هذا الحد على يد مجان الشعوبية وفساقهم،وتنتشر أخبار مطيع بن إياس وفجوره وتردده على دور النخاسة وخصوصا دار ( بربر ) بالكوفة ومن جواريها جوهر التى يقول فيها :

خافى الله يا بربر  اقد أفسدت ذا العسكر
إذا ما أقبلت جوهر  يفوح المسك والعنبر
وجوهر درة الغواص من يملكها يحبر
لها ثغر حكى الدر وعينا رشأ أحور

ويذكرون أنها لما بيعت وتركت الكوفة بكاها مطيع أحر البكاء (٤٦) .

وقد انحدر المستوى الأخلاقى لدى الشعوبية إلى درجة الشذوذ ، ونشروا رذيلة مصاحبة الغلمان والغزل بهم وممارسة الفجور معهم ، ويعف القلم عن تفصيل هذا الجانب السيء ، ويقال إن مطيع بن إياس من أوائل الذين تغزلوا بالغلمان فى غير تحرج ولا حياء ، وهاهو يقول فى شعر له :

وليس يعتم إلا  سكران مع سكران
يسقيه كل غلام  كأنه غصن بان
من خندريس عقار  كحمرة الأقحوان

وبشار يتهتك ويعبث فى استهتار بالدين إذ يخاطب غلامه قائلا :

---

(٤٥) حديث الأربعاء ١٩٢/٢ .
(٤٦) الأغانى ٣١/١٣ .

يا أحمـــد المرتجى فى كل نائبـــة
قم سيدى نعص جبار السموات (٤٧)

وأبو دلامة « كان فاسد الدين ردىء المذهب مرتكبا للمحارم مضيعا للفروض مجاهرا بذلك » كما يقول أبو الفرج (٤٨) ، وقد كان الخليفة أبو جعفر المنصور يسأل كثيرا عن أبى دلامة فيعلم أنه يوجد فى بيوت الخمارين وهو سكران لا فضل فيه فيعاتبه على انقطاعه عنه ، ويأمر الربيع أن يوكل به من يحضره الصلوات الخمس معه فى جماعة فى الدار ، فلما طال ذلك عليه قال :

ألم تريا أن الخليفـــة لزنى بمسجده،والقصر مالى وللقصر؟
وقد صدنى عن مجلس أستلذه أعلل فيه بالسماح وبالخمر
يكلفنى الأولى جميعا وعصرها خويلىمن الأولىوويلىمن العصر

ووالله ما لى نيـــة فى صـــلاتكم
ولا البر والإحسان والخير من أمرى
وما ضـــره والله يغفـــر ذنبـــه
لو ان ذنوب العالمين على ظهرى (٤٩)

أبعد هذا تحلل من الدين وانحلال فى الخلق ؟،إنه فعل الشعوبية السىء بالمجتمع وإفسادها الخطير للناس ، إن هـذا العابث الماجن يكتب إلى الخليفة المنصور من محبسه بسبب سكره وعربدته يقول :

أميـــر المـــؤمنين فـدتك نفسى
عـــلام حبستنى وخـــرقت ساجى ؟
أمن صهبـــاء صافيـــة المـــزاج
كأن شعاعهـــا لهـب الســـراج

(٤٧) الأغانى ١٣/٢٩٣ .
(٤٨) تهـذيب الأغانى ٣/١١٨٠ .
(٤٩) المرجـع السابق ٣/١١٨٧ .

وقـــد طبخـت بنـــار الله حتى
لقـد صارت من النطف النضاج (٥٠)

إنه يمزج فى شعره بين المجون والزندقة وهـــذه هى النزعة الشعوبية ومسارها الخبيث فى المجتمع الإسلامى •

وكما حبس المنصور أبا دلامة فكذلك كان الخلفـــاء يعاقبون الزنادقة من الشعوبيين لشربهم الخمر وتماديهم فى الغى ونشرهم الرذيلة بشعرهم ، كما فعل المهدى والرشيد ببشار وإبراهيم الموصلى فقد أودعا السجن بسبب هذا الفحش ولقيا أشد الضرب والأذى ولكن شعوبيتهما كانت تمنعهما من العودة إلى رحاب الدين والخلق الكـريم •

وإن من يدرس شعر العصر العباسى وما أحدثه فيـه شعراء الشعوبية من تجديد يهوله ما ملأ دواوين الشعراء من نزعة شعوبية حاقدة على الإسلام والعروبة ، ومن دعوات صريحـــة إلى الزندقة والإلحاد والتعصب على العرب ، وترويج للفسق والفجور ، وتمجيد للأعاجم من فرس وروم ، ومبالغة فى مدح الخلفاء نفاقا ورياء وصنع هالات فارسية من التعظيم لم يكن يعرفها الأدب العربى ولا الطباع العربية ، وفحش فى الهجاء وإسفاف يصل إلى سب الأعراض وتحقير الآباء والأمهات والاتهام بأقذع العيوب •

ولا يمكن أن يغفل الدارس ما شاع فى شعر ذلك العصرمن تنوع فى الأغراض ومن رقة فى الأساليب وسهولة فى التعبير وجمال فى التصوير وإبداع فى الخيال ودخول كثير من الألفاظ الأعجميـــة والمصطلحات العلمية فيه أحيانا •

وبعد : فإذا حورب الإسلام والعروبة بالأمس من الشعوبيـــة التى اتخذت الشعر سلاحا خطيرا فى حربها ، فإن الإسلام يحارب

(٥٠) المرجـــع السابق ٣/١١٨٨ .

اليوم حربا أشد ضراوة من ذى قبل من الصهيونية والماسونية وسائر المذاهب الإلحادية والتيارات الأجنبية الحاقدة ، ويتستر محاربوهتحت ستار الفكر ودعوى الحداثة والتجديد ، والعروبة تتعرض لمحن شتى من كل أعدائها وما أظن تلك الحرب الضارية إلا امتـــدادا للحركة الشعوبية .. والمحزن حقا أن أعداء الإسلام والعروبة يستخدمون الأدب العربى سلاحا لإضعاف العقيدة الإسلامية وإفساد أخـــلاق المسلمين وتمزيق وحدتهم وتشويه تاريخهم وتمجيدخصومهموالتهوين من شأن المسلمين وتحقير العرب ، وهذا ما فعلته الشعوبية بالأمس البعيد ، فلنكن على حذر من أولئك الأعداء الألداء ولنعتز بإســلامنا وعروبتنا ، ولينهض الأزهر الشريف وجامعته العتيدة لحماية الإسلام والدفاع عنه ضد خصومه وليكن الأدب ســلاحا قويا يشهرونه فى وجوه أعداء الإسلام لحمايته حتى يبقى مرفوع الراية على مر الزمان « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » (٥١) .

**د/ عبد الصبور السيد الفندور**

---

(٥١) سورة الحج الآية ٤٠ .